(٧٩)

(أحمدُ المَكَرّ بفتح الميم والكاف وتشديد الراء المهملة)

رجل من أهل اليمن الأسفل رأيته في سنة ١٢١٥ وقد صار في سنّ عالية. أخبرني أنه في مائة وأربع وعشرين سنة ونصف سنة، ومع هذا فهو صحيح العقل والحواس مستقيم القامة حسن العبارة. وله تعلق بالتصوّف تامّ. ورأيته كثير المكاشفة، ثم بعد هذه السنّ تزوَّج وولد له كما أخبرني عن نفسه في سنة (١٢١٦). وأخبرني غيره. (ورأيت رجلاً آخر) على رأس القرن الثاني عشر يذكر أنه قد صار في مائة سنة وسبع وعشرين سنة ونصف سنة، ويذكر أنه من بني الهبل، فصدّقوه في عُلوِّ سِنّه. وهذا العمر خارج عن العادة المعروفة في هذه الأزمنة مع كون كل واحد من الرجلين صحيح الحواس قوي البدن. ومما يحسن ذكره هنا أن رجلاً يقال له حسين عامر الداغية من بلاد الحدا بلغ في العمر إلى نحو تسعين سنة، ثم ظهر برأسه قرنان كقرون المعز فوق أذنيه وانعطفا على أذنيه، وشاعت الأخبار بذلك إلى أن بلغت إلينا إلى مدينة صنعاء، وكان المخبرون من أهل العلم. ثم لمّا بلغ الخبر خليفة العصر حفظه اللَّه، أرسل رسولاً يأتي به، وكان ذلك باطلاعي، فرجعت جوابات من شيخ ذلك المحل، وهو رجل يقال له (سعد مفتاح) أن صاحب القرون موجود لديهم بيقين، ولكنه قطعهما لمَّا تأذى بهما، ورأيت الجوابات. ثم تواترت القضية تواتراً لم يبق فيه شكّ، وذلك في سنة (١٢١٥).

ومن الغرائب الحادثة في هذا العام أنَّ امرأة قد كانت قريب البلوغ، فخرج لها في فرجها ذكر، وصارت رجلاً بعد أن كانت امرأةً. وقد أخبرني بذلك السيد العلَّامة مُحمَّد بن يَحْيَى الكَبْسي وقال: إنّ فرجها كان ثقباً صغيراً، وأنه أمرها بعد ظهور الذكر أن تلبس لبس الرجال، فلبسته وهي الآن كذلك.

(٨٠)

(السيد أحمدُ بن يُوسُف
ابن الحُسين بن الحَسَن ابن الإمام القاسِم)[1]

المحقق العلَّامة المحدّث البارع في علم السنَّة المشهور بحفظها وحفظ رجالها، حتى لُقِّب «الحديث» لغلبته عليه. كان عارفاً بفنون الآلة جميعاً، وله يد طولى في علم الأدب، وقصائد طنانة، وله تخريج لمجموع الإمام زَيْد بن علي،

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢/ ٢١٠؛ الأعلام: ١/ ٢٧٥؛ نبلاء اليمن: ١/ ٣٠٦.

نفيس يدلّ على طول باعه في علم الرواية، وكان مشهوراً بدماثة الأخلاق والتواضع والاحتمال والصبر وسكون الطبع والوقار. وله في ذلك أحوال عجيبة حتى كان إذا تركه أهله من طعامه وشرابه أو شيء مما يحتاج إليه لا يطلب ذلك منهم ولا يظهر عليه غضب، بل يحتمل كل شيء. وهذا في خواصِّ أهله الذين هم محل تبذل الإنسان وعدم تحفظه فما ظنُّكَ بسائر الناس. فمن قصائده الطنانة القصيدة التي أولها: [من الخفيف]

أيّها القاصرُ الفعال على اللَّهْـ ـو ألَمَّا يَئِنْ لكَ الإقصارُ
قَد أتاكَ المشيبُ فيهِ من اللَّه إليْكَ الإعذارُ والإنذارُ
فَاتْرِكِ اللَّهْوَ جانباً واحْتَشِمْهُ فَهْوَ ضَيْفٌ قِراهُ مِنْكَ الوَقارُ[1]
إنَّ سُكْرَ الشّبابِ لم يَبْقَ مِنْهُ بَعْدَ صَحْوِ المَشيبِ إلَّا الخمارُ[2]
قَدْ تَولَّى رَيْعانُهُ وَهْوَ لَيْلٌ وَأنارَ القتيرُ وَهْوَ نَهارُ[3]
أضَلالٌ مِنْ بعد أنْ وَضُحَ الصُّبْـ ـحُ لِرائيه فاسْتبانَ المنارُ
ضَحِكَ الشيبُ منهُ فَابْكِ خَطايا كَ وأقللْ فَحَتْفُكَ الإكْثارُ
لَيْسَ خَمْسُون حِجَّةً بَعْدَها عَزْ فٌ ولا صَبْوةٌ ولا اسْتِهْتارُ
ذَهَبَ المُتَّقُون باللَّه بالعزِّ وذَلَّ العُصاةُ والذلُّ عارُ
واتْبَعْ في الوَرَى الذين قفوا أحمـ ـد في فِعْله وما عَنْهُ جَاروا
سَلكوا نَهْجَهُ القويمَ فَلِلحَـ ـقِّ على الخلقِ عِنْدَهُمْ إيثارُ
ما لَهُم مَذْهَبٌ سِوَى الخبر المَرْ وي عَنْهُ وَلا لَهُمُ اخْتِيارُ

وهي أبيات طويلة. ومن نظمه: [من الكامل]

يا ليلةً بالقَصْرِ قَصَّرَها طِيبٌ عَليْها لذَّ لي قَصْرُ
قَدْ أمكنتْ كَفَّيَّ من قَمرٍ ألقتْ إليّ عِنانه الخمرُ
فَغدوْتُ أجني الهمّ منهُ وقَدْ أدْنَى إليّ قَضيبه الهَصْرُ[4]
وَسِكرْتُ مِنْ فيهِ ومِنْ يدهِ خَمْرَيْنِ خَيْرهما حَوَى الثَّغرُ

(١) احتشم: استحيا، واحتشم بأمره: اهتم به، وتحشَّمَ الشيء: تَوقَّاه وتجنَّبه. القِرَى: ما يُقدَّمُ للضيف من طعام وشراب وغير ذلك.
(٢) الخُمارُ: ما خالط الإنسان من سكر الخمر، أو ما يُصيب شارب الخمر من ألمٍ وصداع.
(٣) القتيرُ: أول ما يظهر من الشيب.
(٤) الهَصْرُ: الكَسْرُ، أو الجَذْبُ والإمالة.

وَغَـدا لِـسـانُ الـحـالِ يُـنْـشـدنـي مُـتـمـثـلاً شـعـراً هُـوَ الـسّـحْـرُ
يـا مـنَّـةً امْـتَـنّـهـا الـسّـكْـرُ لا يَـنْـقَـضـي مـنّـي لَـهـا الـشّـكْـرُ

واستمر على حاله الجميل ناشراً لعلومه متواضعاً في كلّ أحواله حتى توفاه اللَّه تعالى في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة (١١٩١)، وكان مولده بعد سنة (١١٢٠)[١]، ونشأ بصنعاء وأخذ عن علمائها.

٨١

(السيد أحمدُ بن يُوسُف بن الحُسين ابن أحمد بن صَلاح بن أحمد بن الحُسين بن عليّ زَبارَه)[٢]

بفتح الزاي بعدها موحدة وبعد الألف راء مهملة نسبة إلى محلٍّ يقال له زَبَار في بلاد خَوْلَان. ولد سنة (١١٦٦) أو في التي بعدها، وقرأ على مشايخ صنعاء، فمن جملة مقروءاته القراءات السبع، تلاها على الشيخ العلَّامة هادي بن حُسين القارني الآتي ذكره إن شاء اللَّه تعالى. وقرأ النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول على مشايخ صنعاء، ومن جُملتهم شيخنا العلّامة الحَسَن بن إسماعيل المغربي الآتي ذكره إن شاء اللَّه. وقرأ الفقه على الفقيه العارف شيخنا أحمد بن عَامر الحدائي، وعلى الفقيه العارف سَعيد بن إسماعيل الرَّشيدي. وقرأ في الحديث على السيد العلَّامة الحُسين بن يَحْيَى الدَّيْلمي، وفي التفسير على المغربي المتقدم. وبرع في أكثر هذه المعارف، وأفتى ودرَّس، وصار الآن من شيوخ العصر، ورافقني في قراءة التفسير على شيخنا المغربي. وحضر في قراءة الطلبة عليّ في شرحي للمنتقى، وطلب مني إجازته له. وقد كنتُ في أيام الصغر حضرتُ عنده وهو يقرأ في شرح الفاكهي للملحة، وهو أكبر منّي. فإنه كان إذ ذاك في نحو ثلاثين سنة. وهو حسن المحاضرة جميل المروءة كثير التواضع لا يعدُّ نفسه شيئاً، يعتريه في بعض الحالات حدّة، ثم يرجع سريعاً، وقد يقهرها بالحلم. وليس بِمُتَصَنِّع في ملبسه وجميع شؤونه، وبيني وبينه مجالسةٌ ومؤانسةٌ ومحبةٌ أكيدة من قديم الأيام. ولما كان شهر رجب سنة (١٢١٣) صار قاضياً من جملة قضاة الحضرة المنصورية أعزّها اللَّه. وعظَّمه مولانا الإمام تعظيماً كبيراً بعد أن أشرت عليه بنصبه، وعرّفته بجليل مقداره. وهو الآن حال تحرير هذه الأحرف مُستمرٌّ على القيام بوظيفة القضاء ناشرٌ للعلم بقدر الطاقة.

---

(١) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ١١١١هـ/ ١٧٠٠م.
(٢) ترجمته في معجم المؤلفين: ٢/ ٢١٠؛ الأعلام: ١/ ٢٧٥؛ نيل الوطر: ١/ ٢٤٩.